

**السّير المتجاورة:  
قراءة في حوارية سيرة عمر بن الخطّاب**

**Contiguous biographies: Research on the  
conversationality of Omar Ibn Al-Khattab's  
biography**

**علي وسلاتي**

**كلية الآداب  
جامعة القيروان  
تونس**

[oueslatiali.prof@gmail.com](mailto:oueslatiali.prof@gmail.com)



## السّير المتجاوزة: قراءة في حوارية سيرة عمر بن الخطّاب

علي وسلاتي

### الملخص:

ينظر هذا المقال في سيرة عمر بن الخطّاب وعلاقتها بسيرتي أبي بكر وعليّ بن أبي طالب لتبيّن العلاقة بين هذه السّير الثلاث وتبيّن دور المعارك الطائفية بين السّنة والشّيعية في كتابتها. والغرض من ذلك تجاوز الصّور المألوفة التي قدّمها المصادر الإسلامية لعمر وأبي بكر وعليّ، وكشف العوامل الكامنة وراء بناء تلك الصّور. كلمات مفاتيح: سيرة، حوارية، عمر بن الخطّاب، أبو بكر، عليّ بن أبي طالب، طوائف.

### Abstract:

This article is about the biography of Omar bin al-Khattab and its relationship with the biography of Abu Bakr and Ali bin Abi Talib, to show the relationship between these three biographies and the role of sectarian battles between Sunnis and Shiites in their writing. The purpose of this is to go beyond the familiar images presented by Islamic sources of Umar, Abu Bakr and Ali, and to reveal the factors behind the construction of those images.

**Keywords:** biography, conversationality, Omar bin al-Khattab, Abu Bakr, Ali bin Abi Talib, sects.

**1- مقدمة:**

يتنزل هذا البحث في إطار النظر في سير الصحابة من خلال سيرة عمر وعلاقتها بسيرتي علي وأبي بكر بغرض تبين دور بناء السيرة الواحدة في بناء السيرتين الآخرين، وذلك بتقليب الرأي في السؤال التالي: هل أنّ الأخبار التي بنت سير الصحابة جاءت من طريق التحمل السلبي ونقل الأمانة كما توحى بذلك مختلف المصنّفات القديمة، حتّى كتبت سيرة كلّ صحابي على حدة، أم هي أخبار متحاورة منخرطة في الصّراعات المركّبة السياسيّة والمذهبيّة والعريقيّة والدينيّة التي عرفها التاريخ الإسلامي على امتداد قرونه الأولى؟

ننتقل في هذا المقال من فرضيّة مفادها أنّ سير الصحابة التي توزّعت أخبارها في مصنّفات التراث الإسلامي على اختلاف مشارها كمصنّفات التاريخ والسير وعلوم القرآن والتّراجم والمناقب والفقّه والبلدان والأموال والإقطاع، وكذلك كتب اللّغة والأدب والسّم، سير نشأت معاً، ليس على معنى التّزامن فحسب، وإنّما على معنى الحوار وتشكيل الصّور كذلك. ولئن فرقت العلوم هذه الكتب تفرّيقاً شكلياً في معظم الأحيان، فإنّ الأخبار قد جمعتها. ولما كان حضور الصحابة بأسمائهم في القرآن معدوماً -إذا استثنينا زيدا<sup>1</sup>- والسكوت عن تفاصيل حياتهم معلوماً، فإنّه يجوز القول إنّ سيرهم ليست إلاّ بنات الأخبار على اختلاف مصادرها.

تبني الأخبار سيرا للخلفاء الأربعة تغري بالتصنيف والتفريق على أساس جعل كلّ سيرة مستقلة عن السير الأخرى، وجعل كلّ خليفة رمزا مستقلا عن نظرائه<sup>2</sup>، لكنّ الفحص عن أمر السير يفضي إلى إمكانية ردّ الصّور -رغم اختلافها الظاهر- إلى خطوط تجمع السير في ملامحها العامّة وفي بناها السردية، وهو ما يقودنا إلى البحث في المشترك في سير الصحابة الخلفاء منطلقنا في ذلك سيرة عمر. ويمكن تبين ما تقدّم بالنظر في مناطق محدّدة من السير مثل الولادة والسابقة، وعند فضائل عميقة الرّمزية، كالعلم والرّهذ.

**2- الولادة والسابقة:**

لئن حظي عليّ بن أبي طالب بوصف ملابسات الحمل والولادة وصفا شافيا في كنهه ورمزيته في كثير من كتب المناقب الشيعية<sup>3</sup>، وذلك أمر طبيعي بالنسبة إلى سير المؤسسين<sup>4</sup> الذين يحرص المتخيّل على غرسهم

1- الأحزاب 37/33.

2- هذا الرأي في الأصل لنادر الحماي أقام عليه كتابا له، انظر: الحماي، (نادر)، صورة الصحابي في كتب الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

3- موضوع ولادة عليّ بن أبي طالب وما سبقها وما تلاها وما صحبها من المعجزات كزلزلة الأرض وسقوط الأصنام على وجوهها والكلام في بطن الأم من أهمّ المواضيع في كتب المناقب الشيعية، انظر مثلا: ابن شهر آشوب، (محمد بن عليّ)، مناقب آل أبي طالب، ج2، ص ص 196-200.

4- يعتبر عليّ عند السنّة رابع الأربعة في الخلافة والفضل، فهو واحد في جماعة، أما عند الشيعة فإنّه يعتبر مؤسسا، ولا يصحّ عندهم مقارنته ببقية الصحابة، لذلك ليست ولادته كولاتهم. للتوسّع في ما يقترن بالولادة أو يسبقها أو يلحقها من المعجزات انظر: إدريس، (يوسف)، متخيّل أحداث قصص الأنبياء والرسل في الكتاب المقدّس والقرآن الكريم، ص ص 209-249، الجزائر، (المنصف)، الخيال العربي في الأحاديث المنسوبة إلى الرسول، ص ص 168-176، مكّي، (باسم)، المعجزة في المتخيّل الإسلامي، ص ص 85-134.

في تربة نبيلة<sup>1</sup>، فإن عمر بن الخطاب لم يحظ بوصف لولادته وطفولته وشبابه الأول. وإذا فحصت المصادر ستري أن المرويّات عمّا سبق إسلامه شحيحة، بخلاف فترة إسلامه وصحبته النبيّ وأبا بكر وخلافته. ويبدو لنا أنّ انحدار عمر من فئة مهمّشة في قريش<sup>2</sup> من الأسباب الكامنة وراء ذلك. ومهما يكن من أمر أصل عمر، فإنّه يبقى دون عليّ بن أبي طالب ابن عمّ النبيّ وسليل بني هاشم ذوي الشرف المكين في قريش. ولا يختلف أمر أبي بكر كثيرا عن أمر عمر، فهو من فرع مغمور في قريش إذا قورن ببني أمية وبني هاشم، ولا يمكنه مزاحمة عليّ في هذا الباب لاسيما أنّ الشيعة تبني مقالاتها على الإمامة فتعتبر أنّ أصول الأئمة نورانية<sup>3</sup>، وهو ما دفع السنّة إلى إحداث توازن في هذا الباب بإرجاع أبي بكر وعمر إلى طينة النبيّ، "طينتهما من طينة رسول الله" بعبارة الخبر الوارد في كتاب ابن الجوزي<sup>4</sup>. لكن رغم الدلالة العميقة لهذا الخبر يبقى الخليفتان دون عليّ في باب النسب، ونرجّح أن يكون لهذا الأمر أثره في بناء صورتيّ أبي بكر وعمر، وهو ما ينفي أن تكون صور الصحابة صوراً عفوية أنتجتها العاطفة الدينيّة، بل نرى أنّها صور رُكّبت بحساب، وهو ما سنبيّنه في حينه.

لم يلق السنّة عننا في تأصيل عليّ وأبي بكر في الدّين على اعتبار السّابقة. ورغم إشارة بعض المصنّفات السنيّة إلى تأخر إسلام أبي بكر<sup>5</sup>، وإشارة في طبقات ابن سعد إلى أنّ عليّاً ليس من السبعة السابقين<sup>6</sup>، فإنّ السنّة تميل إلى تأكيد سابقة أبي بكر أو إيجاد توازن لفضّ الخلاف في من أسلم أولاً بالقول خديجة أول النساء إسلاماً وأبو بكر أول الرجال وعليّ أول الصّبيان<sup>7</sup>.

يأتي الإشكال بالنسبة إلى عمر من كونه من قلة في قريش ومن تأخر إسلامه، ولا ندري إن كان في سيرته قبل إسلامه ما يُشِين، والحقّ أن تعميم المصادر الإسلاميّة عن سيرة "كبار" الصحابة قبل الإسلام بل عن سيرة النبيّ أمر يدركه الناظر فيها، ولا تخفى بواعثه في صناعة التاريخ المقدّس.

لتجاوز النقص في هذا الباب فصلت المصادر الإسلاميّة القول في إسلام عمر وجعلته بداية مقدّسة لسيرة مقدّسة، وقد عُنيت كتب التاريخ والتراجم السنيّة بتفصيل القول في إسلامه تفصيلاً يفيض عن حاجة التاريخ، فأحيط إسلامه بالمقدّس بدءاً من الحديث المشهور الذي يدعو فيه الرسول لعمر بالإسلام<sup>8</sup>، وصولاً إلى احتضانه بما يعنيه من التحام بالجسد المقدّس، مروراً بالإنصات إلى القرآن، أكثر النصوص

1- Boi, (Lucian), *Pour une histoire* de l'imaginaire, Les belles lettres, Paris, 1998, P. 34, De Certeau, (Michel), Encyclopedia Universalis, « Hagiographie », France, 1990, V11, p. 163.

2- G. Levi Della Vida-[M. Bonner], The Encyclopedia of Islam, 'UMAR (I) B. AL-KHĀṬṬAB, v10, p. 818.

3- انظر مثلاً: ابن شاذان، (محمّد بن أحمد القمي)، من فضائل أمير المؤمنين، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط1، ص96.

4- ابن الجوزي، (عبد الرحمن)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، ط1، دت، ص40.

5- السّائي، (أحمد بن شعيب)، خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، مكتبة المعلا، الكويت، ط1، 1986، ص24-25.

6- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، ج3، ص214.

7- ابن حنبل، (أحمد)، فضائل الصّحابة، دار العلم للطباعة والنشر، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1983، ص226.

8- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص247.

الإسلامية قداسة<sup>1</sup>. ومهما يكن اختلاف أخبار إسلامه، فإنها تلتقي في إنصتات عمر إلى القرآن قبل أن يصدع بإسلامه حتى سمي بذلك "الفاروق"، بل من الأخبار ما يشير إلى التبشير بإسلامه بصفته في التوراة<sup>2</sup>، وأن اليهود هي التي لقبته<sup>3</sup>، وأن أهل الجنة استبشروا بإسلام عمر<sup>4</sup>، وذلك ما يحول الحدث من فعل تاريخي مشروط بتطور الحوادث والتحول في موازين القوى على أرض الواقع إلى حدث مفارق منفتح على المقدس.

إن المثير في أخبار إسلام عمر هو أنه تحول في لحظة فارقة من عدو الرسول والمسلمين إلى حاميمهم ومعزهم<sup>5</sup>. هو رجل من قريش يحب الخمر ويطلبها فيشرها ويلهو إلى أن يحين زمن الدخول في المقدس: يطلب عمر الخمر فلا يجدها فيعدل عن طريق الحروزة حيث كان يشرها إلى طريق الكعبة حيث يرى محمدا فيقف بينه وبين ثياب الكعبة فيدخله الإسلام. إنّه خبر عميق الدلالة كثيف الرمزية يعبر عن التحول من طريق الخمر/ المقدس إلى طريق الرسول المفضي إلى الصلاة في مكة سرّة الفضاء المقدس عند المسلمين<sup>6</sup>.

في خبر مشابه يتحول عمر من حمل السيف لقتل النبي بما يعنيه ذلك من إعدام الدين الناشئ إلى التطهر ورفع المصحف وطلب الظهور بالإسلام<sup>7</sup>، كما نجد أخبارا فيها سابقة رمزية يتم فيها نسبة الأسبقية إلى عمر، فهو "أول من أظهر الإسلام"<sup>8</sup>، وأول من لقب أمير المؤمنين<sup>9</sup>، وأول من كتب التاريخ وسنّ القيام، وأول من جمع القرآن في المصحف وأول من ضرب في الخمر ثمانين وأول من مسح السواد وأرض الجبل ووضع الخراج على الأرضين والجزية على جماجم أهل الذمة<sup>10</sup>، و "أول من مَصّر الأمصار ودوّن الدواوين وكتب الناس على قبائلهم"<sup>11</sup>، و "أول من حمل الطعام في السفن من مصر"<sup>12</sup>.

يبدو أنّ التركيز على لحظة دخول عمر في الإسلام قد أفضى إلى التعتيم عن سلوكه في ما بقي من الفترة المكّية حتى صار إسلامه لحظة مضيئة بين ظلامين: ظلام ما قبل الدخول في الإسلام وظلام ما بقي من الفترة المكّية، وهي فترة حرجة من سيرة النبي. فإذا صحّ إسلام عمر بعد الهجرة الأولى، فإنّ أسئلة تخامرنا حول

1- المصدر نفسه، ص 248-250.

2- ابن الجوزي، (عبد الرحمن)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مصدر سابق، ص 15-16.

3- ابن سعد، (محمد)، نفسه، مصدر سابق، ص 250.

4- ابن الجوزي، (عبد الرحمن)، مصدر سابق، ص 22.

5- المصدر نفسه، ص 23.

6- ليست مكة عند المسلمين كغيرها من الأماكن، فهي عندهم القبلة الأولى وهي أول شيء خلقه الله، ف "قد كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرضين بأربعين سنة، وقد خلق موضعها قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة، وقواعدها تمتد إلى الأرض السابعة السفلى، وهي أصل الخلق ومنها دُحيت الأرض، وهي مزار الإنس والملائكة منذ خلق آدم. للتوسّع في مكانة الكعبة عند المسلمين انظر: الأزرقى، (محمد)، أخبار مكة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1983، ص 31-35.

7- ابن سعد، (محمد)، كتاب الطبقات الكبير، ج 3، مصدر سابق، ص 248-249.

8- المصدر نفسه، ص 249.

9- المصدر نفسه، ص 262.

10- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

11- المصدر نفسه، ص 263.

12- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

سلوكه حين عزلت قريش النبي، فكيف نوفق بين الأخبار التي يبرز فيها دور عمر في إعزاز الإسلام والمسلمين وإعلان الدين على الملأ وما صاحب ذلك من تحدّ لقريش بالجهر بالصلاة في الحرم بعد أن كانت الصلاة في شعاب مكة<sup>1</sup>، وبين الصمت في ما بقي من الفترة المكيّة التي فقد فيها النبي أبا طالب حاميه وخديجة صاحبه؟ وكيف نفهم عجز حمزة الذي أسلم قبيله<sup>2</sup> عن ردّ الأذى عن النبي وهو "أسد الله" الذي "ضرب أبا جهل ضربة بالقوس" أوضحت في رأسه<sup>3</sup> في ما تروي السيرة؟

إنّ أخبار إسلام عمر فيها تضارب في الزمن وفي الكيفيات وفي سلوكه بعده مباشرة، وهو يتراوح بين الصّدق والتحدّي<sup>4</sup>، وبين طلب الإجارة بعد التعرّض إلى الضرب<sup>5</sup>. لكن رغم ذلك تبقى اللحظة محطّ نظر كتب السنّة، ونحن نقدّر أنّ ذلك يأتي من طريق تحاور السيرة وبنائها في إطار الجدل، وبناءً على ذلك نعتبر أخبار إسلام عمر محاوراً لأخبار سابقة عليّ بن أبي طالب، فلئن كان هذا عند الشيعة نقيّ النسب معجز الحمل والولادة والصّب معصوما لا يحدث، سابقاً إلى الإسلام والصلاة، فإنّ عمر آمن حين خاف الناس على أنفسهم حتى خرجوا من ديارهم إلى الحبشة وأوذوا حتى ذلّوا، وهلاًّ منقذاً -وقد أكمل بإسلامه الأربعين مسلماً<sup>6</sup>- في صورة فيها من المهدويّة في بعض خصائصها على الأقلّ. وبناءً على ما تقدّم نعتبر أنّ أخبار إسلام عمر بعديّة غير ذات مصداقيّة، وقد صيغت على مقاس متطلّبات الجدل السنيّ الشيعيّ.

### 3- العلم:

إنّ موضوع العلم يلازم السيرة في العلوم الإسلاميّة على اختلافها، بل يتجاوز الثقافة الإسلاميّة إلى الثقافة الساميّة، وهو أمر يمكن التوسّع فيه بالنظر في مفهوم المعرفة ومصادرها عند عرب ما قبل الإسلام والشعوب المجاورة لهم مع التنصيص على مركزيّة الكهانة في ذلك<sup>7</sup>.

لم تكن الكهانة ترفاً فكريّاً يمارسه عرب ما قبل الإسلام، بل حاجة أملتها قسوة المناخ وشحّ الماء وعوز القوات ووحشة الصحراء وميل العربيّ إلى المعرفة بحكم بيئته الثقافيّة المتنوّعة وجوار اليهود والنصارى والأحناف. وقد شكّلت هذه الروافد ثقافة متنوّعة المشارب حاولت الثقافة الدينيّة الناشئة طمسها غير أنّها لم تنجح في ذلك، بل إنّ ثقافة عرب ما قبل الإسلام أعادت ترتيب نفسها لتتأقلم مع الثقافة الجديدة. وبحلول القرن الثّاني والشّروع في التّدوين -الذي كان من أهدافه تثمين الثقافة العربيّة الإسلاميّة وتأصيل

1- المصدر نفسه، ص 249.

2- المصدر نفسه، ص 8.

3- المصدر نفسه، ص 250.

4- المصدر نفسه، ص 250.

5- ابن الجوزي، (عبد الرحمن)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مصدر سابق، ص 19.

6- المصدر نفسه، ص 22.

7- للتوسّع في الكهانة مصدراً للمعرفة قبل الإسلام راجع: فهد، (توفيق)، الكهانة العربيّة قبل الإسلام، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د-ت.



جذورها دفاعا عنها ضدّ الهجمة الشّعوبيّة- صارت الثقافة القديمة مكوّنا بنيويًا من مكوّنات الثقافة الجديدة.

لا ريب في أنّ لكلّ ما ذكرنا من سبل المعرفة ووجوهها أثرًا في نحت مفهوم العلم وصورة العالم، غير أنّ الأمر لا يقتصر على ذلك، فقد احتاجت الثقافة العربيّة بسبب سياستها التوسّعيّة في القرن الأوّل وتقييد العلوم في القرن الثّاني إلى تثمين العلوم الإسلاميّة بإرجاع أصولها إلى رموز التأسيس. والملاحظ أنّ العلم رُدّ إلى عليّ عند الشيعة وإلى عمر عند السنّة<sup>1</sup>. وإذا كان الأمر مفهومًا عند الشيعة على اعتبار مركزية علم الإمام في عقائدهم<sup>2</sup>، فإنّ الأمر عند السنّة يثير أسئلة حول مبررات تغييب فضيلة العلم عند تركيب صورة أبي بكر. فلئن كان هذا الخليفة الشرعيّ الأوّل الذي أظنّب السنّة في ربط سيرته بالسابقة والنصرة والصّحة في الغار وملازمة النّبّيّ والصّلاة بالنّاس في المرض، فإنّ النّظر في المصادر لا يعبر عن اهتمامها بعلم أبي بكر قدر اهتمامها بعلم عمر.

لا يختصّ علم من علوم المسلمين بوصف علم عمر، وإنّما تفرّقت الأخبار التي تصف علمه في كتب التّاريخ والتّراجم والحديث والفقّه والتّفسير وعلوم القرآن... ولا يقتصر علمه على ميدان دون آخر، بل تقول الأخبار إنّه تقحّم ما يُعتبر من المحاذير حين قال في المؤلّفة قلوبهم وفي حدّ السّارق عام الرّمادة وفي الفياء والزّاني المحصن. واللافت للنّظر أنّ كثيرا من اجتهاداته اعتبرها البعض معارضة لنصوص قطعية الدّلالة<sup>3</sup>. ولئن مال جلّ المصنّفين إلى تفسير علم عمر وتبرير كثرة اجتهاداته بملازمة النّبّيّ ملازمة أتاحت له فهم التّشريع، فإنّ بعض الأخبار تذهب مذهبا آخر يصف عمر بأنّه "محدّث"<sup>4</sup> أو مكلم<sup>5</sup>، أو ما شابههما، وهي صفات غامضة المعنى إذا قلبتها في سياق طرق المعرفة العربيّة الإسلاميّة، كما أنّها تثير إشكالات في علاقتها بمفاهيم الوحي والعصمة والكرامة لاسيّما إذا ربطتها بأخبار الموافقات<sup>6</sup> التي تقدّم تصوّرا آخر للعصمة عند السنّة يتجاوز الأقوال المعلومة عن عصمة الجماعة وينفتح على مفهوم العصمة عند الشيعة.

إنّ في مصنّفات العلوم الإسلاميّة القديمة على اختلافها أخبارا في علم عمر، في بعضها شهادة له أنّه لم يرَ أحد "أعلم بالله ولا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله من عمر بن الخطّاب"<sup>7</sup>. ورغم أنّ من الأخبار ما

1- رُدّ العلم عند السنّة كذلك إلى ابن عباس، للتوسّع انظر:

Gillot, (Claude), « Portrait « mythique » d'Ibn 'Abbas », in *Arabica*, n°32, 1985.

2- للتوسّع في علم الإمام عند الشيعة انظر: الصّقّار، (محمّد بن الحسن بن فروخ)، بصائر الدّرجات في فضائل آل محمّد عليهم السّلام، عطر عترة، قم المقدّسة، إيران، د-ت.

3- مسلماني، (مالك)، عمر بن الخطّاب السيرة المتوارية، ص 191-233 على الموقع: kutub.freesite.host تمّ الدّخول عليه في 2019/11/25.

4- ابن الجوزي، (عبد الرّحمان)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، مصدر سابق، ص 27.

5- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

6- السيوطي، (جلال الدّين)، الإتيان في علوم القرآن، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص 82.

7- ابن حنبل، (أحمد)، فضائل الصّحابة، المصدر نفسه، ص 435.

يشير إلى أنه كان يقرأ الكتب، كتب اليهود والنصارى في رأي بعض الدارسين<sup>1</sup>، فإن التمجيديين القدماء والمحدثين لا يبحثون في العلاقة بين اجتهادات عمر وبين الموافقات والكتب التي كان يقرأ.

إن الملاحظة الأخيرة تغري بالبحث فيها، غير أن ذلك يمكن أن يفضي إلى انزلاق الباحث في تصديق الأخبار والانصراف إلى البحث في علّاتها والغفلة عن علاقة الوسم بالعلم بالمتخيّل الديني وعن دور الصّراع المذهبي في ذلك<sup>2</sup>، وهذا أمر يتأكد عند النظر في علم عليّ عند الشيعة الإمامية أو عند النصيرية، أو في علم الوليّ عند الصوفية، وفي منزلة العالم في الكتاب المقدس والقرآن. وقد بين هاينز هالم (halm heinz) مكانة العالم في الإسلام وأبرز دور الخلفيات الغنوصية في ذلك<sup>3</sup>. ولئن مال المؤلف إلى البحث في أثر الغنوصية في الشيعة، فإننا نرى أن أثر الغنوص يتجاوز ذلك إلى فرق إسلامية أخرى على اعتبار الاحتكاك بين مُنتسبي المذهب في المدن الكبرى، بين أصحاب الحرف وما أفرزته من جدل، وبين الفلاحين المشتغلين في الأرض، وبين الظاهرين على السلطان من الخرمية والقرامطة ومن ناصرهم ممن خاب رجاؤه في السلطان في القرن الثالث خاصة. كلّ ذلك يجعلنا ننسب إلى التأثير المتبادل بين المقالات الطائفية وبين التحركات الشعبية والاحتجاجات الاجتماعية المسلحة.

في إطار هذا الصّراع المركّب نفهم نسبة العلم اللدنيّ إلى عمر بن الخطاب في أخبار كثيرة تشترك في توريث النبيّ علمه إياه أهمّها خبر فضل اللبن<sup>4</sup>.

لا ريب عندنا أن المسلمين تمثّلوا مفهوم العلم في سياقه الساميّ الثريّ دينياً وأسطورياً، ومن أهمّ الدلائل على ذلك أنهم حين نسبوا العلم إلى عليّ وعمر شهبوهما بدانيال وسليمان وداود<sup>5</sup>. وقد بقي أهل الكتاب مراجع للمعرفة بالنسبة إلى العرب المسلمين رغم جمع القرآن وتفريق نسخ من المصحف العثمانيّ على الأمصار، وجمع المرويّ عن النبيّ، وهو ما يظهر في المسيحيّات والإسرائيليات التي تخترق التّفاسير الإسلامية. لهذا نرى أن فضيلة العلم بمختلف وجوهها لا تعدو أن تكون موضوعاً جدلياً بين المسلمين ومن ساكنهم من ذوي الديانات والثقافات الأخرى، وبين الفرق الإسلامية في ما بينها لاسيّما بين السنة والشيعة. ولعلّ من أطرف الأخبار التي تؤيد مذهبنا تلك التي تجعل الشهادة بالعلم تأتي في مصنّفات السنة على لسان عليّ يشهد لعمر<sup>6</sup>، وفي مصنّفات الشيعة على لسان عمر يشهد لعليّ من خلال صبيغ مألوفة كقوله "صدقت يا أبا

1- مسلماني، (مالك)، عمر بن الخطاب السيرة المتجاوزة، مرجع سابق، ص 48.

2- للتوسّع في المتخيّل الدينيّ انظر: الجمل، (بسام)، في المتخيّل الدينيّ، ضمن أعمال مهداة إلى عبد المجيد الشرفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ط1، تونس، 2014.

3- هاينز، (هالم)، الغنوصية في الإسلام، تعريب: رائد الباش، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص 133-134.

4- ابن الجوزي، (عبد الرحمن)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مصدر سابق، ص 34.

5- انظر مثلاً: ابن بابويه القميّ، (محمد بن عليّ)، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ج3، ص 20-21.

6- ابن حنبل، (أحمد)، فضائل الصحابة، مصدر سابق، ص 442.



الحسن لا أبقاني الله بعدك" <sup>1</sup> أو "لولا عليّ لهلك عمر" <sup>2</sup>، فضلا عن صياغة تناظر بين الأخبار قوامه إتيان سائل من غير المسلمين بمسألة أشكلت عليه إلى أمير المؤمنين، فيعجز عن حلّها، فيمرّ إلى غيره فيجيب بحضور علماء من اليهود والنصارى، ويُتوّج الخبر بإعلان إسلام السائل وتعجّب الحاضرين من معرفة العالم <sup>3</sup>. ولا شك أنّ تحديد شخصيتي الخليفة العاجز والخليفة المجيب أمر يحدّده مذهب الراوي، وهو ما يدفعنا إلى القول إنّ أخبار السير تعبّر عن الانحياز إلى المذهب أو الدّين أكثر من تعبيرها عن التاريخ. ولا أدلّ على تسابق السنّة والشّيعة في فضيلة العلم من أخبار الرّؤى والحركات التي ينال بها عمر وعليّ العلم اللدنيّ من الرّسول، كرؤيا هبة عمر فضل اللّبن <sup>4</sup>، أو البصق في فم عليّ ووضع اليد على صدره <sup>5</sup>.

إنّ التسابق في العلم أمر اقتضته الحاجة وفرضه التّسابق نحو الشّرعيّة، لهذا ننظر إلى هذه الفضيلة وغيرها على أنّها أصداء بيئتها على اختلاف مفهوم البيئته، وهو ما سنعمّقه بالنّظر في منقبتي العدل والزهد المنسوبتين إلى عمر. وقد خيّرنا جمع المنقبتين لتلازمهما في المصادر تلازما دالاّ.

#### 4- العدل والزهد:

##### 4-1- العدل:

يقود الفحص عن أمر عدل عمر في المصادر إلى تبين ارتباطه ارتباطا وثيقا بالمسألة الماليّة بما تعنيه من عطاء مهما تكن أشكاله، أو منع، منع العائلة أو العمّال تحديدا. ويبقى الرّبط بين عدل عمر وتطبيق الحدود مسألة ثانويّة إن لم نقل هامشيّة في سيرته، وهو ما يكشف عن مركزية التّصرّف الماليّ والسلوك السّياسيّ مع الولاّة في تشكيل صورة عمر العادل. ويبدو لنا أنّ هذا هو الفيصل في ما حدث لعثمان دون أن يعني ذلك السّهو عن دور حرق مصاحف القبائل في الأمر. ولئن مال ناس إلى تقسيم حكم عثمان إلى فترتين، فجعلوا الأولى خيرا مطلقا وفي الثّانية بعض الأخطاء السّياسيّة التي قادت النّاس إلى الظّهور عليه، ورأى آخرون أنّ خروج النّاس على عثمان كان نتيجة عدوله عن سنّة عمر <sup>6</sup>، فإنّنا نرى أن خروج النّاس على عثمان تمتدّ جذوره في إدارة عمر: في جعل الأمصار رافدا للمدينة في المال والغذاء -مما غدى الظّلّامة تدريجيّا- وفي الفوارق الكبيرة في العطاء. ولئن راقب عمر عمّاله وقاسمهم أموالهم، فإنّ سياسته الجبائيّة قادت إلى تكديس الأموال والغنّاء والغذاء في المدينة في مقابل إنهاك العراق ومصر. ويبدو أنّ سلوك عثمان جاء لتأزيم

1- القميّ، (إبراهيم بن هاشم)، قضايا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، مؤسّسة أمير المؤمنين عليه السّلام للتحقيق، قم، إيران، ط1، 1963، ص57.

2- المرجع نفسه، ص144.

3- المرجع نفسه، ص174-176.

4- ابن حنبل، (أحمد)، فضائل الصّحابة، مصدر سابق، ص254.

5- ابن عسّاك، (عليّ بن الحسن)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر للنّشر والطّباعة والتّوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1996، ج42، ص386.

6- الصّلاّبي، (عليّ)، عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره، دار ابن كثير للنّشر والطّباعة والتّوزيع، دمشق، سورية، ط2، 2009، ص310.

وضع كائن أصلاً أكثر من كونه خالقاً ذلك الوضع. زد على ذلك أنّ سلوك عثمان في عطاء قريش وإقطاعها قد يكون في بعض وجوهه ردّ فعل على سلوك عمر الذي حرص على منع قريش، ولعلّ كبارها تنقّسوا الصّعداء بولاية عثمان، وقد يكون ذلك سبباً من أسباب ترجيح كفته على كفة عليّ في الشورى التي لا تصرّح أخبارها بذلك. فبقدر ما عُرف عثمان بكرمه -وربما بضعفه حين طعن في السنّ- عُرف عليّ بشدّته على قريش في حروبها ضدّ النّبيّ، لذلك نرى وجاهة إعادة قراءة ملابسات الشورى وما سبقها من قتل عمر في هذا السّياق.

استقرّ عمر رمزا للعدل وحيكت حوله الحكايا: من العبارات العميقة البليغة لرسول كسرى "حكمت فعدلت فأمنت فنمت"<sup>1</sup>، إلى رعاية دوابّ الصّدقة وعلاجها بيده<sup>2</sup>، زد عليها عسسه بالمدينة والنّاس رقاد<sup>3</sup>، ودرّته في الأسواق تعلو وجوه المطلقين<sup>4</sup>، وتزويجه أمانة الحليب ولده<sup>5</sup>، بالإضافة إلى ما يروى عن حزمه مع ولّاته واقتسام أموال عدد منهم<sup>6</sup>، ونهيمهم عن ظلم النّاس، وكسرهم عند تجرّهم<sup>7</sup>.

كثيراً ما يذهب في ظنّ النّاس أنّ عدل عمر يفترض المساواة في العطيّة، وهذا أمر يجانب الصّواب، فالفرق في العطايا في عهده كبير جدّاً. ورغم اختلاف الأخبار في مقدار العطاء لكلّ فريق خصّصه عمر بالعطيّة، فإنّ الفرق شاسع جدّاً يتراوح في معظم الأخبار بين 250 درهماً لأقلّ النّاس عطاءً و12000 لعائشة و5000 للمهاجرين ودونها بألف للأنصار<sup>8</sup>، وللعباس 25000 في بعض الروايات<sup>9</sup>.

وقد يذهب في الظنّ أنّ مقدار العطيّة للفريق الواحد موحد، لكنّ الواقع غير ذلك، فما تناله عائشة يتجاوز ما تحظى به بقيّة نساء النّبيّ، ونصيب العباس يزيد عن نصّب البديريين رغم خروجه مع القرشيين في بدر، كما ألحق الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان بالبديريين رغم حداثة الأوّلين وتخلّف الثانيين عن الغزوة<sup>10</sup>.

لا شكّ عندنا أنّ إجراء تدقيق في السّياسة الماليّة لعمر سيفضي إلى نتائج صادمة لمن استقرّت في روعه الصّورة النّمودجيّة لعمر العادل، وهو ما يدعو إلى طرح السّؤال التّالي: كيف نبرّر نعت عمر بالعدل رغم الاختلاف الكبير في العطايا ولا يُنعت أبو بكر بذلك رغم أنّه سوّى في العطيّة<sup>11</sup>؟

- 1- للخبر روايات كثيرة جمعها مالك مسلماني، انظر: مسلماني، (مالك)، عمر بن الخطاب السيرة المتجاوزة، ص 256-275.
- 2- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص263.
- 3- ابن الجوزي، (عبد الرّحمان)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مصدر سابق، ص82-83.
- 4- المصدر نفسه، ص109-110.
- 5- المصدر نفسه، ص83-84.
- 6- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص263.
- 7- ابن الجوزي، (عبد الرّحمان)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مصدر سابق، ص93-94.
- 8- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، مصدر سابق، ص275-285.
- 9- الطّبري، (محمّد بن جرير)، تاريخ الرّسل والملوك، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2، دت، ج3، ص614.
- 10- ابن الجوزي، (عبد الرّحمان)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مصدر سابق، ص106.
- 11- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص276.

للإجابة وجهان:

• الأول أنّ تمثّل المسلمين العدل لم يخرج عن تصوّر عرب ما قبل الإسلام، فالعطايا بيد شيخ القبيلة له فيها نصيب معلوم وللناس نُصّب على قدر منازلهم، لذلك استحسنوا قسمة عمر وعدّوها عدلاً ورفضوا قسمة أبي بكر.

• الثّاني أنّ نسبة المناقب إلى الصّحابة وبناء صورهم ليست أمراً بريئاً بل محسوباً على قدر الحاجة الجدليّة، فقد وُزنت الصّور بميزان الدّهب، فالأهمّ بالنّسبة إلى أبي بكر عند السنّة ليس عدله وإنّما إثبات الوصيّة تبريراً لخلافته وردّاً على مقالة الوصيّة الشّيعيّة، لذلك تنحو جُلّ الأخبار التي تقدّم مناقب أبي بكر نحو تأكيد السّابقة والصّلاة بالنّاس في مرض النّبّي الذي مات فيه في بيت عائشة -ابنته- وفي حضنها بين سحرها ونحرها وفي دولتها<sup>1</sup>، لذلك نرى أنّ للسنّة مقالة في الوصيّة لا تختلف عن نظيرتها الشّيعيّة اختلافاً حقيقياً.

لا ينفى تأكيد فضائل أبي بكر المذكورة في السّطور السّابقة فضائل أخرى نسبتها السنّة إليه، والطّريف في الأمر أنّه بالإمكان مقارنتها بمناقب عليّ واحدة بواحدة حتى يبرز الدّور الجداليّ في تشكيل صورتيّ أبي بكر وعليّ بل صُور جُلّ الصّحابة.

يبدو لنا حين ننظر في صورتيّ أبي بكر وعمر أنّهما تشكّلا معاً ذاتاً واحدة بوجهين يكمل أحدهما الآخر للردّ على الدّات المقدّسة المضخّمة التي بنتها الشّيعيّة الإماميّة لعليّ، فاختاروا لأبي بكر السّابقة<sup>2</sup> والخلة<sup>3</sup> وصحبة الغار<sup>4</sup> وإشراع باب المسجد<sup>5</sup> والوصيّة التي عبرت عنها أخبار الصّلاة بالنّاس، ولعمر العدل والعلم والقوّة والرّهد. وممّا يدعم رأينا هذا ردّ السنّة على فضائل نسبتها الشّيعيّة إلى عليّ بنسبتها هي نفسها إلى أبي بكر أو عمر أو إليهما معاً، أو ردّ الشّيعيّة على ما نُسب إلى أبي بكر وعمر بنسبته إلى عليّ أو الحسن والحسين، فالخبر في فضائل أبي بكر وعمر "لا يحّمها إلّا مؤمن ولا يبغضهما إلّا منافق"<sup>6</sup> عند السنّة يقابله نسبة الأمر عينه إلى آل عليّ عن الشّيعيّة<sup>7</sup>، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى لقبَي الصّدّيق<sup>8</sup> والفاروق<sup>9</sup>، فكلاهما منسوب إلى عليّ في مصتفات الشّيعيّة. ولئن بدا في تحليلنا أنّ الرّدود تأتي من السنّة على الشّيعيّة، فإنّ ذلك لا ينفى أنّ

1- هذه مسألة من أخطر المسائل الخلافيّة بين السنّة والشّيعيّة، وهي وثيقة الصّلة برزيّة الخميس وبالوصيّة وما يتعلّق بها من الشّرعيّة السياسيّة، قارن: نفسه، ج2، ص229، وابن شهر آشوب، (محمّد بن عليّ)، مناقب آل أبي طالب، ج1، ص293.

2- ابن حنبل، (أحمد)، كتاب فضائل الصّحابة، مصدر سابق، ص223.

3- المصدر نفسه، ص99.

4- ابن تيميّة، (تقيّ الدّين)، منهاج السنّة، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1986، ج4، صص156-157.

5- ابن حنبل، (أحمد)، كتاب فضائل الصّحابة، مصدر سابق، ص97-98.

6- المصدر نفسه، ص393.

7- ابن شاذان، (سديد الدّين)، الرّوضة في فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، مكتبة الأمين، قم، إيران، ط1، 2002، ص98.

8- ابن شهر آشوب، (محمّد بن عليّ)، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، ط2، 1991، ص48.

9- المصدر نفسه، ص9.

تكون بعض الفضائل ردًا من الشيعة على السنة، وهو أمر يمكن التدقيق فيه بالنظر في المصنّفات الإسلامية على امتداد القرون الخمسة الأولى على اعتبار أنّ المادة العلمية مفرّقة في مختلف العلوم ولأنّ بناء صور الصحابة لم يكن معزولاً عن الحوادث العظيمة التي وقعت في تلك القرون.

#### 4-2- الزهد:

الأخبار في زهد عمر كثيرة متنوّعة مبنوثة في مختلف المصنّفات: في كتب الرّحلات والأخبار الأسمار. ولا يقتصر زهد عمر على مجال دون آخر، بل يُقدّم على أنّه امتناع طوعي عن المتعة<sup>1</sup> أكلاً وشرباً وركوباً ولباساً وفراشاً، وكلّ هذا لا يخصّه وحده، بل أكرهه عليه أهله.

تصف أخبار كثيرة عمر فتذكر أنّه قد أدم من أكل الزيت عام الرّمادة<sup>2</sup>، واعتزل السمن واللحم<sup>3</sup>، وأنّه رفض سدّ قرم أهله غير مرّة<sup>4</sup>. وكان إذا أولم أمر بالعنق له ومتمّع الناس بالغض<sup>5</sup>. كما تقول الأخبار إنّه لم ينكح لمتعة<sup>6</sup>، وبلغ به الأمر أن اشتى جرادا مقلّياً<sup>7</sup>.

هذه هي الصّورة التي استقرت في أذهان الناس: عمر أمر السّحابة وصاحب خراجها وقاهر الأكاسرة وقاسم الجبابرة ومذلّ العزاز يرقّ لرقاق الناس ويبكي حتى يُخضّل لحيته لعثرة بغلة أو دبّر حمار. لكنّ الباحث في المصنّفات القديمة يقف على أخبار شتى تقدّم معطيات مغايرة تماماً فيما يتزوّد فيها عمر كريمات قريش ويصدق زينب بنت عليّ أربعين ألفاً<sup>8</sup>، ونقدّر أنّ مهور الأخريات على قدر مهور ثريات قريش.

ولعمر عطاء البدرين ولا يذكر خبر -في حدود اطلاعنا- أنّه استغنى عنه، وهو كثير. وتقول مرويات أخرى إنّ عليه يوم طعن ستّة وثمانين ألفاً من الدرّاهم لا تصحّ الأخبار في ما كان قد أنفقها<sup>9</sup>، وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت بغضّ النظر عن تقديرات الدينار والدرهم. أمّا إسراف المصادر في وصف العنت الذي لقيه عمر عام الرّمادة فإنّه أمر فيه نظر، فكيف نوفّق بين الأخبار التي تعتبر قوت المدينة من الأمصار لأتّها أرض سبخة<sup>10</sup> وبين أخرى تعتبر الجفاف سبباً في جوع أهلها؟

1- فين، (ريتشارد)، الزهد في العالم الإغريقيّ الرومانيّ، ترجمة: علي لولو وناجح شاهين، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط1، 2012، ص10.

2- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص301.

3- ابن الجوزي، (عبد الرّحمان)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، مصدر سابق، ص131.

4- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص292.

5- ابن الجوزي، (عبد الرّحمان)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، مصدر سابق، ص144.

6- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص301.

7- المصدر نفسه، ص295.

8- الطّبري، (محمّد بن جرير)، تاريخ الرّسل والملوك، ج4، مصدر سابق، ص199-200.

9- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص313.

10- يشير جواد عليّ إلى أنّ يثرب فيها ماء لكنّه لا يكفي أهلها فيضطرونّ إلى جلب الشّعير والزّيت والتّين من الشام. وتقديرنا أنّ الحاجة إلى الغذاء كبرت بعد الهجرات المتأخّرة إلى المدينة في زمن خلافة عمر، وهو ما يزيد الحاجة إلى العراق ومصر. انظر: علي، (جواد)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ط2، 1993، ج4، ص131، 141.

لكلّ هذا نقدّر أنّ الأخبار بالغت كثيرا في وصف مصيبة الرّمادة لإخراج عمر في صورة الرّاعي العادل الزّاهد، ولا نظنّ أنّ لِقْحَط المدينة عميق الأثر في الإطعام، فجَلّ طعام المدينة ليس منها، بل من السّواد والشّام ومصر. واللافّات للانتباه أنّ مؤرّخين تعاملوا مع أخبار الرّمادة تعاملًا لا يخفى فيه التّردّد في نقد الأخبار نقدا مباشرا، فمالك مسلمانى، رغم رفضه التّفاصيل المحيطة بالرّمادة يعتبر أنّ قصّتها "حدثت بشكل ما"<sup>1</sup>. ويرى هشام جعيط أنّ عمر "أعطى صورا مذهشة جدّا عن البساطة"<sup>2</sup>.

يبدو لنا حين نقلّب الأخبار التي تصف زهد عمر أنّ فيها مبالغة كبيرة، وأنّ جلّها بعدى صبيغ في عهد المتأخّرين من بني أميّة وما تلاه. ويبدو أنّ صورة عمر الزّاهد طلبت أول خطوطها في سلوك بني أميّة وبني العبّاس أعوام الأوبئة والمجاعات، وهي كثيرة جدّا خصوصا بعد تمصير الأمصار والهجرة إليها وما صاحب ذلك من نموّ سريع للمدن وعجز الولاة عن التّصرّف في المياه. وكان الولاة والسّادة إذا جاع النّاس أو طعنوا أمّنوا أنفسهم وعائلاتهم وتركوا الضّعاف لأقدارهم، كما أنّ أمراء بني أميّة وبني العبّاس سلّطوا ولّاتهم على رقاب النّاس وجباتهم على أرزاقهم فعاثوا فيها نهبا أعقب الدّلّ والعوز. كلّ هذا جعل صورة عمر الرّاعي العادل الزّاهد مناقضة تماما لصور خلفاء بني أميّة وبني العبّاس ولّاتهم المترفين المتجبرين. وهذا أمر تدعمه أخبار فيها مقارنة صريحة بين سلوك بني أميّة وعمر: "عن نافع قال: سمعت ابن عمر يحدث قال: بلغ عمر بن الخطاب أنّ يزيد بن أبي سفيان يأكل ألوان الطّعام فقال لغلام له يقال له يرفأ: إذا حضر طعامه فأعلمني. فلما حضر طعامه جاء فأعلمه، فأتى عمر رضوان الله عليه واستأذن فأذن له فدخل فجاء بلحم فأكل عمر رضي الله عنه ثمّ قرّب شواء فبسط يده فكفّ عمر يده ثمّ قال: يا يزيد بن أبي سفيان، أ طعام بعد طعام؟ والذي نفس محمّد بيده لئن خالفتكم عن سنّتهم ليخالفنّ بكم عن طريقهم"<sup>3</sup>.

إنّ التّاريخ الإسلاميّ تاريخ أوبئة ومجاعات دورية<sup>4</sup> عمّق أثرها في النّاس سوء الإدارة وتسلب الولاة والجباة وانخراط الأمن وقطع الطّرق وسلب المازة في المدن وشغّب الشّطار وغيرهم من الجماعات المنظّمة على النّاس حتى تعطلّ الحجّ مرارا، وجاع النّاس وأكلوا الكلاب والجيف<sup>5</sup>، بل أكل بعضهم بعضا -حقيقة لا مجازا- في أعوام المجاعات<sup>6</sup>. في هذا السّياق نفهم حنين المسلمين إلى زمن عمر الذي أطعم النّاس من جوع وأمّنهم من خوف.

تستدعي منقبة الزّهد النّظر، فقد نسبت إلى جلّ الصّحابة وهو أمر لا ينسجم مع ما تقوله الأخبار عن الثّروات التي كوّنوها من الغنائم وما رافق ذلك من إقطاع حيطان وتجارة في الرّقيق والسّلاح والركائب

1- مسلمانى، (مالك)، عمر بن الخطّاب السيرة المتوارية، مصدر سابق، ص165.

2- جعيط، (هشام)، الفتنة، جدلية الدّين والسياسية في الإسلام المبكر، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط4، 2000، ص17.

3- ابن الجوزي، (عبد الرّحمان)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، مصدر سابق، ص174.

4- الطّبري، (محمّد بن جرير)، تاريخ الرّسل والملوك، ج7، مصدر سابق، ص90-93.

5- ابن كثير، (عماد الدّين)، البداية والنهاية، هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، ط1، 1998، ج15، ص150.

6- للتوسّع انظر: البغدادي، (عبد اللّطيف)، كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، 1998، ص131-142.

والذهب والفضة، ففي المصنّفات أخبار عن ثروات للمهاجرين لا يحصيها العدّ كثروات طلحة بن عبيد الله<sup>1</sup> والزبير بن العوام<sup>2</sup> وعبد الرحمان بن عوف<sup>3</sup>. ولعلّ أطرفها ما استقرّ في ضمائر الناس عن زهد عليّ بن أبي طالب وفقره حتى على عهد عمر، وهو أمر لا يستقيم، فقد نال عليّ العطايا لسابقته وبلائه وإمهارة بناته<sup>4</sup>، وتقول أخبار إنّ له مالا يتبع<sup>5</sup>. هذا ما يدعونا إلى التشكيك في الأخبار التي تصف زهد الصحابة، واعتبارها نتيجة الحنين إلى زمن الصّفاء الأوّل في زمن لوّثته الصّراعات وأفسدته التّزاعات، وظهر فيه الظلم في الناس حتى خاب رجاؤهم في السّلطان فارتدّوا إلى الرّمن الأوّل الذي استقرّ في المتخيّل منبعا للقداسة والتّقاء والتّعالى عن لذّة الدّنيا. إنّه حنين فيه مهدويّة معكوسة تسحب إلى الماضي بالإضافة إلى المهدويّة المعروفة التي تنتظر قائما يملؤها عدلا بعد أن ملئت جورا.

يمكن كذلك فهم منقبة الزّهد في إطار الصّراعات المذهبيّة، فقد حاولت المذاهب تأصيل جذورها في زمن البدايات المقدّس، كالصّوفيّة التي اعتبرت عليّا وعمرا رائدين لها. وهذا لا ينفي أن يكون في منقبة الزّهد جدل للتّصارى الذين عُرف رهبانهم بترك المتع لاسيّما النّساء، ولعلّ صوم الاثنين والخميس عند المسلمين صورة من صور الرّدّ على النّصارى الذين يصومون الثّلاثاء والجمعة. وقد ورد في الأخبار أنّ عمر كان لا يتزوّج النّساء إلا لغرض الإنجاب<sup>6</sup>، ومثل هذا معلوم عند النّصارى.

## 5- خاتمة:

إنّ الصّورة التي استقرّت في الضّمائر لعمر الفاروق القويّ الأمين العادل العالم الزّاهد العابد لا تصمد أمام التّحكيك التّاريخيّ، بل إنّ سيرته برمّتها في حاجة إلى إعادة النّظر لاسيّما نسبه وسياسته مع أهل الدّمة عامّة ومع علوج المدينة خاصّة، كما ندعو إلى تعميق البحث في مقتله ووصيّته ودفنه مع صاحبيّه، وننبّه إلى أثر الصّورة المتخيّلة لعمر في التّفسير والتّشريع وعلوم القرآن لأنّنا نرى أنّ خطر تركيب صورته لا يقتصر على إخراج السّير من التّاريخ إلى المتخيّل بل في صياغة أحكام فقهيّة وبلورة سياسات ماليّة وخلق أحداث بُنيت عليها مقالات خطيرة في العقائد وعلوم الحديث وعلوم القرآن لاسيّما النّاسخ والمنسوخ وأسباب النّزول.

وإنّنا إذ نعاين خطر المتخيّل الدينيّ ودوره في صناعة التّاريخ وقراءته، نشير إلى أنّ صورة عمر الجسديّة بدورها محلّ نظر، فهل كان حقّا رجلا طوّلا شديد الصّوت أعسر يسرا<sup>7</sup>، أم أنّ شدّته السياسيّة أثّرت في تصوّر هيئته الجسديّة؟ إنّه سؤال مشروع يبرّره ما في المصنّفات السّنيّة والشّيعيّة من اختلاف جوهريّ حول

1- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص204.

2- المصدر نفسه، ص 100-102.

3- المصدر نفسه، ص 122-123.

4- الطّبري، (محمّد بن جرير)، تاريخ الرّسل والملوك، ج3، مصدر سابق، ص204.

5- المصدر نفسه، ص440.

6- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص301.

7- ابن الجوزي، (عبد الرحمان)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، مصدر سابق، ص14-15.



صفة عمر، فهل كان أشقر أحمر؟ أو آدم أو أسود؟ وهل أنّ الخبر الذي جاء فيه أنّ عمر قد أدم من أكل الزيت محاولة للتوفيق بين الأخبار المتنافرة في صورته الجسديّة؟<sup>1</sup>.

يبدو لنا أنّ البحث في صور الصحابة لا يتم إلا بتركيب تجربة المدينة على امتداد السّنوات الأربعين الأولى، وتبيّن ما شجر بينهم ودوره في افتراق المسلمين وما نتج عنه من نزاع مسلّح على امتداد القرنين الأوّلين على الأقلّ.

إنّنا ندرك صعوبة دراسة سير الصحابة بسبب ضبابيّة المعطيات التاريخيّة حول المدينة قبل الهجرة وبعدها، وبعد حروب أبي بكر ضدّ القبائل، والرّمادة، والحركة التوسّعيّة في عهد عمر خاصّة، والهجرات المتأخّرة إلى يثرب، والعلاقات بين المهاجرين والأنصار، وبين المسلمين وغيرهم، وما حدث في البلاد المفتوحة من نزاع بين الوافدين والأصليّين، وبين قريش والقبائل. لكنّ ذلك لا ينبغي أن يثني العزم على تركيب التجربة السياسيّة في المدينة، وهي تجربة خطيرة أفرزت افتراق المسلمين افتراقاً مصيرياً منذ مقتل عثمان. فلئن سكت المؤرّخون فإنّ الباحث لا يمكن أن يغفل عن دور أهل المدينة في مقتل عمر وعثمان سواء أبالصمت -إن صحّ الصمت- أم بالفعل المادّي.

إنّ صورة عمر بُنيت في سياق كلاميّ لتحاور صورة عليّ بن أبي طالب، فقد صيغت في خضمّ الصّراعات السياسيّة والمذهبيّة والعريقيّة بمنطق الصّورة وردّ الصّورة، وهي تستمدّ خطوطها العريضة من مشارب متنوّعة منطلقها صحراء العرب والحاضنة السّاميّة وامتدادها في ثقافة البلاد المفتوحة. وإذا كنّا خصّصنا هذا العمل لصورة عمر ودور الجدل والمتخيّل في صناعتها فإنّ الأمر يتجاوز عمر إلى بقيّة الصحابة ومؤسّسي المذاهب والأديان.

1- ابن سعد، (محمّد)، كتاب الطبقات الكبير، ج3، مصدر سابق، ص301.

## قائمة المصادر والمراجع<sup>1</sup>:

- 1- الأزرقى، (محمد بن عبد الله)، أخبار مكة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1983.
- 2- ابن بابويه القمي، (محمد بن علي)، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة الأعلي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- 3- البغدادي، (عبد اللطيف)، كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.
- 4- الحمّامي، (نادر)، صورة الصحابي في كتب الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- 5- ابن حنبل، (أحمد)، فضائل الصحابة، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983.
- 6- جعيط، (هشام)، الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، تعريب: خليل احمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2000.
- 7- الجمل، (بسام)، في المتخيل الديني، ضمن أعمال مهداة إلى عبد المجيد الشرفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ط1، تونس، 2014.
- 8- ابن الجوزي، (عبد الرحمن)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، ط1، د-ت.
- 9- ابن سعد، (محمد)، كتاب الطبقات الكبير، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- 10- السيوطي، (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- 11- شاذان، (سديد الدين)، الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكتبة الأمين، قم، إيران، ط1، 2002.
- 12- ابن شاذان، (محمد بن أحمد القمي)، من فضائل أمير المؤمنين، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط1.
- 13- ابن شهر آشوب، (محمد بن علي)، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، ط2، 1991، ص48.
- 14- الصلابي، (علي)، عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره، دار ابن كثير للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، سورية، ط2، 2009.
- 15- الطبري، (محمد بن جرير)، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2، د-ت.
- 16- ابن عساكر، (علي بن الحسن)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1996.
- 17- علي، (جواد)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ط2، 1993.

1- أثبتنا في هذه القائمة المصادر والمراجع التي أحلنا عليها فحسب ورتبناها ترتيباً ألفبائياً دون اعتبار "أبو" و "ابن" والألف واللام.

- 17- فهد، (توفيق)، الكهانة العربيّة قبل الإسلام، قدمس للنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، د-ت.
- 18- فين، (ريتشارد)، الزّهد في العالم الإغريقيّ الرومانيّ، ترجمة: عليّ لولو وناجح شاهين، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث، ط1، 2012.
- 19- القميّ، (إبراهيم بن هاشم)، قضايا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، مؤسّسة أمير المؤمنين عليه السّلام للتحقيق، قمّ، إيران، ط1، 1963.
- 20- ابن كثير، (عماد الدّين)، البداية والتهاية، هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، ط1، 1998.
- 21- مسلماني، (مالك)، عمر بن الخطّاب السّيرة المتوارية، على الموقع: kutub.freesite.host
- 22- النّسائي، (أحمد بن شعيب)، خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، مكتبة المعلا، الكويت، ط1، 1986.
- 23- هاينز، (هالم)، الغنوصيّة في الإسلام، تعريب: رائد الباش، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط2،
- 24- Boi, (Lucien), **Pour une histoire de l'imaginaire**, Les belles lettres, Paris, 1998.
- 25- De Certeau, (Michel), **Encyclopedia Universalis**, «Hagiographie», France, 1990, V11, Pp. 160-165.
- 26- Gillot, (Claude), « Portrait « mythique » d'Ibn 'Abbas », in *Arabica*, n°32, 1985.
- 27- G. Levi Della Vida - [M. BONNER], **The Encyclopedia of Islam**, 'UMAR (I) B. AL-KHĀṬṬAB, v<sub>10</sub>, pp 818-821.